

## هل تطلق سوريا موقفاً من وجود جيشها مماثلاً لخطاب ١٩٧٦؟

### شكوك البطريك في علاقات البلدين تعيدها الى الصفر

كتب نقولا ناصيف (النهار ١٤/١١/٢٠٠٠)

لم يسبق للبطريك الماروني مار نصرالله بطرس صفير ان اتخذ موقفاً متصلباً من وجود الجيش السوري في لبنان بمثل ما قاله امس، مُقفلًا من فحوى ما تضمنته كل الابواب في وجه السوريين، ومن خلالهم بالتأكيد - وهذا هو الأساس - في وجه كل المسؤولين اللبنانيين المعنيين بالدفاع عن وجود هذا الجيش. اذ للمرة الاولى وعلناً على هذا النحو المباشر، في سلسلة موافقه من هذا الموضوع، يطلب اقامة "علاقات دبلوماسية" بين لبنان وسوريا شأن ما هو حاصل بين بقية الدول.

وهو موقف بات يعني بالنسبة الى غلاة المؤيدين لسوريا اشهار عداء صريح لسيد بركي في وجه دمشق. علماً انه ليس اول القائلين بهذا المطلب. قبله في مجلس النواب نادى به النائب البر مخبير في جلسة ٢ تشرين الثاني. وقبلهما يدين المطلب اولاً للعميد ريمون اده الذي ثابر لاعوام في بيروت ابان "حرب السنتين" ثم في باريس على الدعوة اليه سعياً الى استقرار متكافئ للعلاقات اللبنانية - السورية. وقال به ايضاً، وان من موقع اخر، الرئيس كميل شمعون.

على ان التوقيت المفاجيء لهذا المطلب المزمع يدفع بمعظم المواقف التي قالت باعادة انتشار الجيش السوري في لبنان الى مزيد من الاحراج، بفعل عجز اي فريق محلي عن الذهاب الى ما بات يطالب به البطريك، وبفعل اتضاح المواقف البارزة ذات الصلة بهذا الموضوع: فالبطريك يقول بانسحاب شامل ونهائي للجيش السوري بعد مرحلة قصيرة من اعادة الانتشار، ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي النائب وليد جنبلاط يطالب باعادة انتشار فقط تطبيقاً لاتفاق الطائف، والرئيس عمر كرامي يعود الى مؤتمر وطني لمناقشة ما هو جارٍ تداوله، والنائبان نسيب لحود وبطرس حرب يحضّان على تصويب العلاقات اللبنانية - السورية بدءاً بتطبيق كامل لاتفاق الطائف (ويعني ذلك حكماً - وهو ما قالاه - اعادة الانتشار بتفاهم الحكومتين)، والوزير نجيب ميقاتي اقرب الحلفاء الى سوريا اول المطالبين باعادة النظر في العلاقات بين البلدين بدءاً من ارساء علاقات اقتصادية متكافئة بينهما.

تالياً لم يقل اي من هؤلاء - باستثناء صفير - باقامة علاقات دبلوماسية بين البلدين. الامر الذي بدا من الكلام الاخير للبطريك انه أضحى يتخطى اعتراضه على عدم تنفيذ اتفاق الطائف وعلى عدم اعادة انتشار الجيش السوري الى ابعاد من المطالبة بخروج هذا الجيش من لبنان نهائياً: الى اعادة العلاقات اللبنانية - السورية الى طاولة التشكيك والمناقشة مجدداً، الى الصفر بالذات، ولاسيما ان البطريك يعبر الى هذا الموضوع من باب لم يجرؤ على طرقة احد، هو انتقاده المباشر لعبارة كان قالها الرئيس الراحل حافظ الاسد تكراراً عن "شعب واحد في دولتين"، فنقضها صفير اذ ربط اهدافها بضم لبنان الى سوريا ليمسها "شعبا واحدا في دولة واحدة".

بذلك يعيد البطريك الروح الى مخاوف تاريخية في علاقة لبنان بسوريا يعرفها على السواء المسؤولون اللبنانيون والسوريون في العقود والعهود المنصرمة، حيال مسألة قال كثيرون من اللبنانيين من حلفاء سوريا عنها ان الرئيس الراحل بموافقة على تسوية الطائف سلّم بلبنان كياناً مستقلاً.

يدفع ذلك كله الى طرح السؤال الآتي:

هل دقت ساعة الانسحاب السوري من لبنان؟

لا يبدو الامر كذلك ابدا استنادا الى جهات رسمية واسعة الاطلاع لبضعة اسباب ابرزها:

1- ان ايا من الدول الكبرى المعنية بالاستقرار في المنطقة لم يبد بعد تجاوبا حيال مسعى خروج او اخراج الجيش السوري من لبنان لاعتقاده ان وجوده لا يزال يوفر الاستقرار لهذا البلد. اما الموقف السوري فيخلص الى الاستنتاج نفسه من غير ان يعول على الدوافع والتبريرات نفسها رابطاً بين هذا الخروج والتوصل الى تسوية سلمية في مرتفعات الجولان تلحظ انتهاء الاحتلال الاسرائيلي لها في مقابل مغادرة الجيش السوري لبنان تبعاً لقواعد سلام شامل وعادل.

2- رغم اطمئنان سوريا الى استمرار وجود جيشها في لبنان ومعرفتها بمقدرتها على استقطاب اوسع تأييد له بدءاً من المؤسسات الدستورية، اجرت قيادتها في الاشهر الاخيرة اعادة انتشار لجنودها تنفيذاً لقرار اتخذته الرئيس الراحل قبل وقت قصير من وفاته - تبعاً لما تكشفه الجهات الرسمية الواسعة الاطلاع - ذكر انه استند الى حيثيتين:

-اولهما ان القيادة السورية، في ضوء تطور علاقاتها بلبنان، باتت على ثقة كاملة بان حماية هذه العلاقات والاتفاقات المنبثقة منها خصوصاً، لم تعد في حاجة الى الجندي السوري في لبنان بغية حمايتها ولا الى دبابته. وهو ما دفع المسؤولين السوريين اخيراً الى اعادة نشر جنودهم قبل ان تتصاعد الحملة على وجود جيشهم في لبنان بدءاً ببيان مجلس الاساقفة الموارنة في ٢٠ ايلول الفائت.

-ثانيهما ميل الرئيس الراحل وقتذاك الى الاعتقاد بضرورة اتخاذ موقف سوري مهم من العلاقات اللبنانية - السورية يتصل كذلك بوجود الجيش السوري في لبنان، ورغبته في اعادة انتشار مرحلية للجنود، يحمل الاهمية نفسها التي كانت لخطابه الشهير في ٢٠ تموز ١٩٧٦ وتحديث فيه باسهاب عن دخول الجيش السوري في اول حزيران ١٩٧٦ الى لبنان بلا اذن من احد لمهمة حددها الاسد الاب بمنع تقسيم لبنان وتصفية المقاومة الفلسطينية، وكلامه عن خلاف القيادة السورية مع الزعيم الراحل كمال جنبلاط الذي رفض يومها دخول الجيش السوري وخاض تجربة مقاومته.

يومذاك اكتسب ذلك الخطاب اهميته لصدوره عن الرئيس السوري بالذات ومن منبر مؤتمر عام عقد في جامعة دمشق خاطب به اللبنانيين اولاً ثم العرب الذين عارضوا تدخل الجيش السوري في لبنان. كما اكسبته تلك المناسبة اهمية اخرى كونه الوثيقة التاريخية الوحيدة التي حددت، بلسان الرئيس السوري، مهمات الدورين السياسي والعسكري لدخول سوريا للبنان بلا مطالب مسبقة من أي فريق محلي سوى الخيارات الاستراتيجية التي ارتأها.

ولذا بدا للقيادة السورية في الفترة القريبة التي سبقت غياب الرئيس الراحل ان ثمة حاجة الى اتخاذ موقف تاريخي جديد من وجود الجيش السوري في لبنان، مماثل لذاك الذي اتخذته عام ١٩٧٦.

على ان كل ذلك غير ذي صلة بما جهر به بطيرك الموارنة.

والواضح ان كليهما، البطيرك والسوريين، وبعد كلام أمس، سيكون في صدد المضي في معركة التصليب، مباشرة أو بالواسطة.